



أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

غفر الله له ولوالديه والمسلمين





النُّسخة الأولى

(١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)





بسم الله الرحمن الرحيم







العنوان	الصفحة
المقدمة	١
مجالسة التوابين	٣
مجالسة العقلاء	٤
مجالسة العلماء	٦
مجالسة الكبراء	١١
مجالسة القرآن	١٤
مجالسة وجوه الناس	١٦
مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلم	١٩
مجالسة أهل الدين والمروءة	٢١
مجالسة الذاكرين لله	٢٤
مجالسة أهل اليقين	٣١
الختام	٣٤
مذكرة الفوائد	٤٠

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن الا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فهذه نصوص جمعتها بعنوان (**مَنْ نجالس**) والجواب عليها من كلام السلف[١] بقولهم: (**جالسوا**)، وعلقت عليها بأسلوب سهل، وبكلام وجيز، وهي مما ينتفع بقراءتها في مجالس العلم والوعظ، وغيرها من المجالس المباركة، فأسأل الله أن ينفع بها القارئ، وأن يجد فيها الخير والعلم، والأجر والبركة في الدنيا والآخرة،

١- قال النووي كما في «تهذيب الأسماء واللغات» : «أئمتُنا وأسلافُنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دارُ قرارِنا، وأنصحُ لنا فيما هو أعَوَد علينا، فيقبحُ بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم».

إنَّ ربي على كل شيء قدير.

وكتبه أفقر العباد

محمود بن أحمد الزويد

غفر الله له ولوالديه وأهله والمسلمين.

شهر ذي القعدة عام ١٤٤٣هـ

حامدًا للهِ ومصليًا على نبيه محمد ﷺ.



مجالسة التوابين

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**جالسوا التوابين فإنَّهم أرق أفئدة**»[(١)]. وفي لفظ: «**اجلسوا إلى التوابين**»[(٢)].

(**أرق أفئدة**) يعني قلوبهم رقيقة، والقلب الرقيق أسرع في قبول الحق، ولهذا مدح أهل اليمن ووصفوا بأنَّهم أرق قلوبًا كما في الحديث.

ومجالسة التوابين يجد الإنسان فيها الذكرى والعبرة، وهي مجالس تبعث في نفس صاحبها الهمة لفعل الخير، وتوقد بقلبه الغيرة على الدين والعرض.

فمن أراد أن يدخل قلبه: التذكر، والاعتبار، والعزيمة لفعل الخير، والغيرة على الدين وأعراض المسلمين؛ فليكثر من مجالسة التوابين، فقلوبهم رقيقة ومنكسرة؛ لأنَّها تجرأت في وقت غفلتها فعصت الله، ثمَّ عادت له ثانية، فكلما تذكرت تلك الأحوال ندمت وأصابها وجع اقض مضاجعها.

فـ: مجالسة التوابين، تجعلك تشكر الله على نعمة الثبات، وتحثك على طلب المزيد من الخير.

ومجالسة التوابين تذكرك برحمة الله بعباده، وعظم عفوه بالعاصين.

مجالسة التوابين تعرفك بتقصيرك في إسبال الدمعة، وترك العبرة، فعلامة التائب إسبال الدمعة، والندم على المعصية.

١- رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٢٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/٥١). وروي مرفوعًا وهو لا يصح كما في «الضعيفة» (١٠٣).

وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/١٣٧٠): لم أجده مرفوعًا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في التوبة قال: «جالسوا التوابين فإنَّ رحمة الله إلى النَّادمِ أقرب» وقال أيضًا: «فالموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب» وقال أيضًا: «التائب أسرع دمعةً وأرق قلبًا».

٢-كما في كتاب «الزهد» لابن المبارك (١٢٧)، وأخرجه وكيع في «الزهد» (٢٧٩)، وهناد في «الزهد» (٨٩٤).

مجالسة العقلاء

عن محمد بن أبي مالك الغزي قال: سمعت أبي يقول: «**جالسوا الألباء أصدقاء كانوا أو أعداء؛ فإنَّ العقول تلقح العقول**»(١).

(الألباء): يعني العقلاء، قال ابن حبان معرفًا العقل: «اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم بإجتناب الخطأ؛ فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديبًا، ثمَّ أريبًا، ثمَّ لبيبًا، ثمَّ عاقلًا»(٢).

(أصدقاء كانوا أو أعداء): لأنَّ العاقل لا يصدر منه إلا كل ما ينتفع به قولًا وفعلًا، صديقًا كان أو عدوًا.

وكان القاضي يحيى بن أكثم يقول: سمعت المأمون يقول: لإبراهيم-بن المهدي-: «لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال»(٣).

فالمؤمن يغتنم الفوائد ويفرح بها، كما قال زيد بن أسلم: «نعم الهدية الكلمة من كلام الحكمة يهديها لأخيه، والحكمة ضالة المؤمن إذا وجدها أخذها»(٤).

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: «العلم ضالة المؤمن، كلما أصاب شيئًا حواه، وابتغى ضالة أخرى»(٥).

(فإنَّ العقولَ تلقحُ العقول): أي العقل يفيد العقل.

وهذا يدل على أنَّ عقل الإنسان يزداد معرفة (بالمجالسة والمخالطة وبالتجارب)،

١- روضة العقلاء (ص٢٣) ط: دار القاسم.
٢- روضة العقلاء (ص١٧).
٣- الأذكياء (ص٦).
٤- رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٥٥١)، وإسناده صحيح.
٥- رواه ابن أبي شيبة (١٤/ ٦٠) وأبو خيثمة في «العلم» (١٥٧) - واللفظ له - وأبو نعيم (٣/ ٣٥٤)، وإسناده صحيح، كما في «تبييض الصحيفة» (١/٦٨).



ويعني ذلك أنَّ **العقل عقلان**:

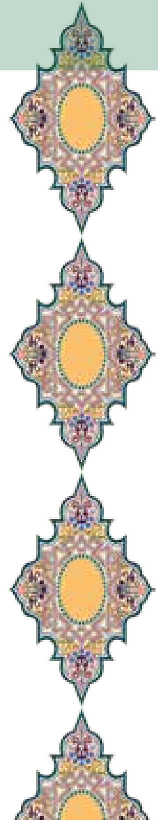
عقل بالفطرة.

وعقل بالاكتساب.

ومن هذا قول شعيب بن حرب: قال لي شعبة: «عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلًا منا ذهب ذلك القليل، وإنِّي لأرى الرجل يجلس مع منْ هو أقل عقلًا منه فأمقته».







مجالسة العلماء

قال لقمان رحمه الله موصيًا ابنه: «**يا بنيَّ جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء**»[١].

وهذا يدلُّ أن على كل أب واجبًا شرعيًا في نصحه لابنه، وتعليمه إيَّاه الخير، وتحذيره له من الشر وضروبه والسبل المؤدية إليه.

وأول هذا الوصية النافعة، حثه لابنِهِ أنْ (يجالسَ العلماء) تعلمًا من أدبهم، وأخذًا من علمهم، وانتفاعًا بهم.

والانتفاع يكون بالمجالسة، فإن «من جالس جانس»، وكما قيل: «الطِّبَاعُ سرَّاقة»[٢]، و«الطَّبْعُ لصٌّ»[٣].

وهذا معاذ رضي الله عنه، يقول وقد نزل به الموت: «اللهم إنِّي قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنَّك تعلم أنِّي لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري[٤] الأنهار، ولا لغرس الأشجار؛ ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلق الذكر»[٥].

(وزاحمهم بالركب) بامتثال الأدب بحضورهم، والتماس البركة والخير بوجودهم، فمن زاحم بالركب صادقًا، رفع وارتفع.

وفيه أدب نافع: أنَّ الطالب يجلس في حضرة الأستاذ جلسة المستفيد المتواضع،

١- رواه مالك في «الموطأ» بلاغًا في كتاب العلم (١٠٠٢/٢).
٢- قاله ابن جماعة كما في «تذكرة السامع والمتكلم» (ص٩٤).
٣- قاله ابن الجوزي كما في «تلبيس إبليس» (ص١٤٦)، وابن قدامة كما في «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٥٣).
٤- وفي بعض النسخ (لكري).
٥- حلية الأولياء (٢٣٩/١).



فإنَّ العلم لا ينال إلا بالتواضع، كما قال الشافعي: «لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعز النفس فيفلح؛ ولكن من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش، وخدمة العلم، وتواضع النفس أفلح»(١).

وقال ذو النُّون: «ثلاثةٌ من أعلام الخيرِ في المتعلِّم: تعظيمُ العلماءِ بحسن التَّواضعِ، والعمى عن عيوب النَّاسِ بالنَّظر في عيب نفسِه، وبذلُ المالِ في طلب العلمِ إيثارًا له على متاعِ الدُّنيا»(٢).

قوله: **(يحيي القلب)** العضو الذي شكله كالصنوبر، والقلب إمَّا أنْ يكون: قلبًا حيًا، أو أن يكون مريضًا، أو أن يكون ميتًا.

والعاقل يسارع في علاج قلبه كما يسارع في علاج أي مرض يعتريه، وربما البعض يتجشم السفر، ويدفع المال لعلاج أي عضو في جسمه، ولا يعالج قلبه المريض الذي قد يصبح ميتًا لكثرة ما حلت به من الأمراض والبلايا، وعششت فيه المعاصي والآثام، حتى تشبَّع المعصية فلا عاد ينكر منكرًا، ولا يعرف معروفًا.

ومن خير وسائل علاج القلوب، أن يجالس أهل العلم الربانيين، فهم كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»(٣).

فمجالس العلماء: مجالس الزيادة من الخير والعلم، والزيادة من المعرفة والعمل.

وعلى هذا فتكون حياة القلب التي قصدها: حياته بالإيمان، فـ«ليس الإيمان

١- مناقب الشافعي (٢/١٤١).

٢- شعب الإيمان للبيهقي (٣/٣٢٦).

٣- حلية الأولياء (١/١٣٤)، والفقيه والمتفقه (١/١٤٢)، وهو عند البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٥٨) من قول عبد الله بن بسر المازني رحمه الله.

بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل»[١].

(يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء) وهذا تشبيه فكما أنَّ الأرض الميتة التي تنبت إذا نزل عليها الماء عادت إلى الحياة، كذاك القلب الميت والمريض يحيه الله بمنه وكرمه بالحكمة والمعرفة. والوابل أشد المطر، فأول المطر رش وطش، ثمَّ طل ورذاذ، ثمَّ نضح ونضخ، وهو قطر بين قطرين، ثمَّ هطل وتهتان، ثمَّ وابل وجود[٢].

وكان لقمان يقول لابنه: «يا بنيَّ إنَّ الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك»[٣].

وللقمان الحكيم وصايا كثيرة في فضل العلم وما يلحق به، ذكر بعضًا منها الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»، ويكفي شرفًا أن الله ذكر لقمان ووصاياه الحكيمة في كتابه العزيز، وقد شرفنا الله بخدمة تلك الوصايا في العمل الذي صدر عن مركز تدبر بعنوان (اللقمانيات التسع).

ومجالسة العلماء فيها خير وعصمة من الشر، عن محمد بن سيرين قال: «إنَّ قومًا تركوا طلب العلم، ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة والصيام حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، ثمَّ خالفوا السنة فهلكوا وسفكوا دماء المسلمين، فو الذي لا إلهَ غيره ما عمِل أحدٌ عملًا على جهلٍ إلا كان يفسد أكثر ممَّا يصلح[٤].

ومجالسة العلماء فيها رحمة ورفعة لصاحبها، قال لقمان لابنه: «رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم، فإنْ تكُ عالماً ينفعك علمك، وإنْ تك جاهلًا

١- رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٩٨٨)، وجوَّد إسناده الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله في «تبييض الصحيفة»، (١/١٠٠) من كلام الحسن.
٢- انظر: فقه اللغة (ص١٩٠).
٣- البداية والنهاية (٣/١٥)، وانظر: «جامع بيان العلم» (٦٨٣) (١/٤٤١).
٤- الاستذكار (٨/٦١٦).



يعلموك، ولعلَّ الله أن يطلع عليهم برحمة فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإنَّك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلًا يزيدوك جهلًا، ولعلَّ الله أنْ يطلع عليهم بسخطه فيصيبك بها معهم»[١].

وقال الفقيه السمرقندي الحنفي: يقال: من انتهى إلى العالم، وجلس معه، ولا يقدر على أن يحفظ العلم، فله سبع كرامات:

أولها: ينال فضل المتعلمين.

والثاني: ما دام جالسًا عنده كان محبوسا عن الذنوب والخطأ.

والثالث: إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة.

والرابع: إذا جلس عنده، فتنزل عليهم الرحمة، فتصيبه ببركتهم.

والخامس: ما دام مستمعا تكتب له الحسنة.

والسادس: تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضا وهو فيهم.

والسابع: كل قدم يرفعه، ويضعه يكون كفارة للذنوب، ورفعا للدرجات له، وزيادة في الحسنات، ثم يكرمه الله تعالى بست كرامات أخرى:

أولها: يكرمه بحب شهود مجلس العلماء.

والثاني: كل من يقتدي بهم، فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

والثالث: لو غفر لواحد منهم يشفع له.

والرابع: يبرد قلبه من مجلس الفساق.

والخامس: يدخل في طريق المتعلمين والصالحين.

١- حلية الأولياء (٦/٦٢).





والسادس: يقيم أمر الله تعالى، لأن الله تعالى، قال: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ، يعني العلماء والفقهاء هذا لمن لم يحفظ شيئًا، وأما الذي يحفظ فله أضعاف مضاعفة، وقال بعض الحكماء: إنَّ لله تعالى جنَّة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه.

قيل: ما هي؟ قال: مجلس الذكر[1].



١- تنبيه الغافلين (ص٢٩٠-٢٩١) ط: دار الحديث.

مجالسة الكبراء

عن علي بن الأقمر، عن أبي جحيفة قال: «**جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء**»[١].

(جالسوا الكبراء): يعني: الشيوخ الذين لهم التجارب، وقد سكنت حدتهم وذهبت خفتهم.

فالكبير: صاحب تجربة، وذو معرفة.

وينتفع بمجالسته من كلامه وخطابه، وبمعرفته لمعالجة الأمور، وبصيرته في تقييمه للأشياء، وغير ذلك مما اكتسبه بفارق السن وكثرة التجارب.

(وخالطوا الحكماء): وهم من جمع بين العلم والعمل، فمن جمع بينهما فهو حكيم[٢]، فالحكمةُ: هي معرفةُ الدِّين والعمل به [والإصابة في القول والعمل][٣] كما قاله مالك واللَّيث وغيرهما من السَّلف[٤].

وقيل الحكمة: «فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي».

وقيل: «وضع الشيء في موضعه»[٥].

١- ذكره البيهقي في «المدخل» (٤٤٢) وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/١٢٠)، وروي مرفوعًا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٣٣)، والخطابي في «العزلة» (ص٤٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (٥١٩) «رواه الطبراني في الكبير من طريقين: إحداهما: هذه، والأخرى: موقوفة. وفيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي وهو منكر الحديث، والموقوف صحيح الإسناد».
٢- نقل ابن قدامة في «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٩) «الحكمة: العلم والعمل به». وقال ابن قتيبة رحمه الله: «لا يكون الرجل حكيمًا حتى يجمع العلم والعمل».
٣- زيادة من مصدر آخر.
٤- انظر: مجموع رسائل ابن رجب (رسالة: مقدمة تشتمل على أنَّ جميع الرسل كان دينهم الإسلام) (٣٦٥/٤) ت: النجار.
٥- انظر: مدارج السالكين (٢/٤٧٩).



(وسائلوا العلماء): وهذا إرشاد إلى أحد طرق العلم، وحصول المعرفة، وهذا الطريق حتى يكون نافعًا ينبغي أن يتصف صاحبه ببعض ما يلي:

١-**أن يكون المسؤول من أهل العلم**، لا المتعالمين المتطفلين على موائد أهل العلم، وقد كتبت في ذلك كتابين نشر أحدهما بعنوان: «أسماء أهل التعالم وألقابهم»، والآخر يسر الله نشره.

٢-**الاتصاف بأدب السائل**، فعلى السائل أن يتصف بأدب الطالب الذي يعرف كيف يسأل، فطالب العلم يختار (الكلام المناسب، والمكان المناسب، والوقت المناسب)، وينبغي أن يتحلى بأدب السائل قبل السؤال، وأثناء السؤال، وبعد السؤال، وهذا أشياء تحتاج لشرح ليس هذا محل ذكرها، ولكن ننبه على أنَّ: «أدب السائل أنفع من الوسائل»[(١)].

وكما قيل: «حسن السؤال نصف العلم»[(٢)].

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والحكمة ضالّة المؤمن فليطلبها ولو في يدي أهل الشّرك»[(٣)].

وقال أبو الدرداء ﷺ: «لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: منصت واعٍ أو متكلمٍ عالم»[(٤)].

وخير الناس من سأل بفهم، وسكت بحلم، فهذه من علامات النجابة ودلائل

١- سير أعلام النبلاء (١٩/٣٩٨).
٢- روي مرفوعاً، وهو باطل. انظر: في «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/٢٨٤)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٦/٣٩١).
٣- عيون الأخبار (٢/١٣٩).
٤- تاريخ دمشق (٤٧/١٤٦).



الفهامة[١].

٣-أن تكون النية من السؤال طلب العلم، لا الامتحان والاختبار، وألا يكون صاحب ذلك من الصنوف التي تعرف السؤال فيطرح السؤال أمام الناس على الشيخ وهو يعلم الجواب ونيته إظهار نفسه وبيان عيب معلمه وعجزه، فهذا من المحاذير التي حذر منها العلماء، وهو من صفاة الأدعياء.

وقد قيل: «إذا جلست إلى عالم فسل تفقها لا تعنتاً»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «ما سألني رجل مسألة، إلا عرفت فقيه هو أو غير فقيه؟»[٣]. والفقه هو الفهم، فمن خلال السؤال يظهر فهم السائل واستيعابه وعقله، والله أعلم.



١- ولي كتاب بعنوان (أنفع الوسائل بذكر أدب السائل) يسر الله نشره.
٢- مفتاح دار السعادة (١/١٦٨)، وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري (٤/٣٩)، ذكره من كلام علي رضي الله عنه
٣- جامع بيان العلم (٧٣٢) (١/٤٦٧).



مجالسة القرآن

عن قتادة قال: «لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله عز وجل الذي قضى: ﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾»[1].

(لم يجالس هذا القرآن): جلسة المتأدب، الطالب للفائدة، المبتغي لوجه الله؛ فهذه الركائز مظنة حصول الانتفاع والزيادة، وهي:

١- التأدب بأدب القرآن قولًا وعملًا، قلبًا وقالبًا.

٢- عقد النِّية على طلب الفائدة.

٣-أن تكون النية لله خالصَة.

والجلوس مع القرآن: يكون بالقراءة، أو التدبر وفهم المعاني، وربط الحياة به.

فهو مصدر الحياة، ومكمن السعادة، ومجمع العلوم، ومنير الدروب.

فمن جلس مع القرآن بهذه النِّيَّة وبهذا الأدب، حصل له في ذلك فائدة عظيمة، وهي **(قام عنه بزيادة أو نقصان)** فإمَّا يزداد إيمانًا مع إيمانهِ، ويقينًا مع يقينه، ومعرفةً مع معرفته، وهذا خير وبركة.

وإما **(بنقصان)** لخلل في المتلقي، وضعف في همته، وعدم صبر لما فيه، وهذا

١- رواه ابن المبارك في «الزهد» «باب: ما جاء في ذم التنعم في الدنيا» (٢٧١/١) ط: حبيب الرحمن الأعظمي.

وفي «باب الغرباء» (٤٥٦/٢) ط: الشيخ عامر حسن صبري حفظه الله.

ورواه من طريق ابن المبارك الفريابي في «فضائل القرآن» (٧٧).

ورواه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٥٧)، والدارمي في «سننه» (٣٣٨٧)، عن قتادة قال: «ما جالس أحد القرآن إلا فارقه بزيادة أو نقصان». قال: ثمَّ قرأ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وسنده ضعيف.



من الخسران.

أو يستشعر نقصه، أو عيب نفسه، فينطلق في سده، والبحث عن علاجٍ للخلاص منه.



مجالسة وجوه الناس

وعن شبيب بن مهران، قال: قال لنا معاوية بن قرة: «**جالسوا وجوه النَّاس؛ فإنَّهم أحكم وأعقل من غيرهم**»[١].

(وجوه الناس) في الفضل والعلم والمعرفة، وفي الخير والجود والكرم، وفي محاسن الأخلاق، فهذه الصفات التي بها يسود الإنسان، ويكون وجيهاً بين الناس.

وليست الوجاهة فقط في الحسب والنسب، وإن كان الأصل في ذلك أنَّه لا يهمش ولا ينكر؛ ولكن الأصل والمعدن الحقيقي هو (تقوى الله، وحسن الخلق، والعلم)، فهذه المعادن التي نادت بها الشريعة وحثت عليها، وجعلتها معايير التفاضل بين النَّاس، ولو كان الذي لا يملكها غير عربي.

كما روي أنَّ بدويًا قدم البصرة فقال لخالد بن صفوان: أخبرني عن سيد هذا المصر، قال: هو الحسن بن أبي الحسن.

قال: عربيّ أم مولى؟

قال: مولى.

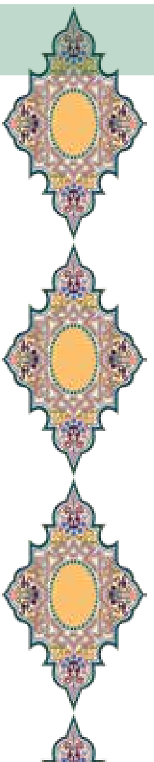
قال: وبم سادهم؟

قال: احتاجوا إليه في دينهم واستغنى عن دنياهم.

قال البدوي: كفى بهذا سؤددًا[٢].

وكما قال ابن الجوزي: «واعلم أنَّ العلمَ يرفع الأراذل فقد كان خلق كثير من العلماءِ لا نسب لهم يذكر، ولا صورة تستحسن، وكان عطاء بن أبي رباح أسود

١- حلية الأولياء (٢/٣٠٠).
٢- التذكرة الحمدونية (٢/٩٤)، و«ربيع الأبرار» (٤/٦).



اللون مستوحش الخلقة.

وكان الحسن مولى -أي مملوكًا-، وابن سيرين ومكحول، وخلق كثير. وإنما شُرفوا بالعلم والتقوى»[١].

وقال شمس الدين الحنبلي: «درجة العلم أعلى من درجة النَّسَب، **ومرتبتُها عند** الخالق والمخلُوقِ أسنى الرُّتب»[٢].

وقال سالمُ بن أبي الجعد: «اشتراني مولايَ بثلاثِ مئةِ درهم فأعتقني، فقلت: بأيِّ حرفةٍ احترفُ؟ فاحترفتُ بالعلمِ، فما تمَّت لي سنةٌ حتَّى أتاني أمير المدينةِ زائرٌ فلم آذن له»[٣].

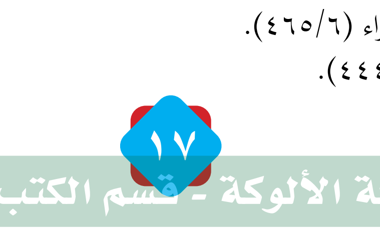
وممّا ينسبُ للشافعي رحمه الله:

سَأَطْلُبُ عِلْمًا أَوْ أَمُوتُ بِبَلْدَةٍ ... يَقِلُّ بِهَا هَطْلُ الدُّمُوعِ عَلَى قَبْرِي
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْعِلْمِ يَا نَفْسُ فَاعْلَمِي ... بِمِيرَاثِ آبَاءٍ كِرَامٍ وَلَا صِهْرِ
وَلَكِنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى ... لِيَطْلُبَ عِلْمًا بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
فَإِنْ نَالَ عِلْمًا عَاشَ فِي النَّاسِ مَاجِدًا ... وَإِنْ مَاتَ قَالَ النَّاسُ بَالَغَ فِي الْعُذْرِ
إِذَا هَجَعَ النُّوَّامُ أَسْبَلْت عَبْرَتِي ... وَأَنْشَدْت بَيْتًا وَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الشَّعْرِ
أَلَيْسَ مِنْ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا ... تَمُرُّ بِلَا عِلْمٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي[٤].

وفي معجمِ السفرِ للحافظ أبي الطَّاهرِ السِّلفي:

أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ سَمِعت رِوَايَةً ... عَنِ الطَّاهِرِ الْمَيْمُونِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمِ
بِأَنَّ طِلَابَ الْعِلْمِ فَرْضٌ وَوَاجِبٌ ... عَلَى مُؤْمِنٍ مُسْتَمْسِكٍ بِالدَّعَائِمِ

١- لفتة الكبد في نصيحة الولد (ص٥٩-٦١) ط: مكتبة الإمام البخاري.
٢- غذاء الألباب (١/٢٣٢).
٣- تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء (٦/٤٦٥).
٤- غذاء الألباب للسفاريني (٢/٤٤٤).



أَلَا إِنَّمَا الْعِلْمُ الشَّرِيفُ مَوَاهِبٌ ... يُخَصُّ بِهَا أَهْلُ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ

عَلِيٌّ رَوَى عَنْهُ الثِّقَاتُ بِصِحَّةٍ ... أَلَا لَيْسَ قَدْرُ الْمَرْءِ مِلْكَ الدَّرَاهِمِ

وَلَكِنَّ قَدْرَ الْمَرْءِ مَا كَانَ عَارِفًا ... مِنَ الْعِلْمِ فَاصْحَبْهُ تَكُنْ غَيرُ آثِمِ

وَلَا تَصْحَبِ الْجَهْلَ الْمَشُومَ فَإِنَّهُ ... مَنَازِلُ قَوْمٍ شُبِّهُوا بِالْبَهَائِمِ

فَجِئْتُ إِلَى الْقَاضِي الْإِمَامِ مُؤَمِّلا ... عُلُومًا وَآدَابًا أَجَلَّ الْغَنَائِمِ[1].

والغاية من الجلوس إليهم هي أنَّهم (أحكم وأعقل) يعني جمعوا بين العقل، والحكمة؛ فالجلوس إليهم يمنح صاحبهما زيادة في العقل والمعرفة، ويكسبه البصيرة والحكمة.

واليوم قد تبدل مفهوم الوجاهة، وصار بعض الأراذل والجبناء، وأمثالهم من الجهلاء والسفهاء، يعوّلون على النسب والحسب ويجعلونه المعيار الأول في الوجاهة والحظوة والمكانة. وبعضهم يجعل من الشهرةِ وكثرة المال معيارًا آخر في الوجاهة.

أرى كل من أثرى يُرى ذَا مهابةٍ ... وَإِن كَانَ مذْمُومًا لئيمًا نقَائِبه.

وَمنْ يفْتَقِر يدع الْفَقِير ويمتهن ... غَرِيبًا وَيبغضُ أَن ترَاهُ أَقَارِبه.

وَيرْمِي كَمَا ذُو العر يرْمِي وَيتَّقِي ... ويجني ذنوبًا كلهَا هُوَ عائبه[2].

وكل هذه عند الأشراف والفضلاء ليس بوجاهة؛ وإنَّما الوجاهة بتقوى الله كما قاله الله: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

❁❁❁

١- رقم (٣٨٩).
٢- الأمالي للزجاجي (ص١٣).



مجالسة قوم ينتقون أطايب الكلام

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «**لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاءَ ساعةً: ظمأُ الهواجرِ، والسجودُ في الليلِ، ومجالسةُ أقوامٍ ينتقون جَيِّدَ الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر**»[1].

(لولا ثلاثٌ) يعني ثلاث خصال، وهل قوله يفيد الحصر؟

قد يراد به الحصر.

وقد يراد به معنى آخر، وهو أنَّه لما كانت خصال الخير كثيرة، فكان أفضلها وأشرفها في نفسه، وأكثرها محبة في قلبه هذه الخصال الثلاث، فذكرها.

وهكذا المؤمن غرضه في الحياة شريف نبيل، ونفسه كبيرة، وهمته عالية، فهو لا يطلب العيش في الدنيا لنعيمه فنعيمها مليء بالمنغصات، وإنَّما يطلب فيها معالي الأمور وأشرافها، ولا نعيم أفضل من التعبد لله، ولا شرف أشرف من مقام العبودية، ومن أفضل العبادات. **(ظما الهواجر)** وهو كناية عن الصوم؛ لأنَّ الظمأ هو شدة العطش، والهواجر شدة الحر وهو منتصف النهار، فعبر عن الصوم بهذا، ومنه قوله الصائم «ذهب الظمأ»، والله أعلم.

وكذلك من العبادات العظيمة **(السجود في الليل)** يريد به قيام الليل، وهو من أفضل النوافل بعد الفرائض كما هو معلوم بنصّ الحديث النبوي الصحيح الصريح، وأفضليته لكونَّه: أبعد عن الرياء فالنَّاس في وقت الليل يكونوا نيامًا. ولأنَّه أبلغ في الجهد وأشق على النفس، فصاحبه مأجور، وكان بعض العلماء يرى أنَّ قائم الليل مجاهد في الليل، وصائم النهار مجاهد في النَّهار، فمن جمع

١- سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٩)، و«تاريخ دمشق» (٤٧/١٥٩).

الاثنين جمع الجهاد بوقتيه، ومن هنا كان رمضان من أشرف مواطن العبادة لجمعه أشرف العبادات في أشرف الأوقات.

(أقوام) يعني جماعة من الناس، وصفتهم أنَّهم **(ينتقون جَيِّدَ الكلام)** الكلام الطيب كـ: الذكر، والعلم، والحكم، وغير ذلك من أنواع الكلام الذي يؤجر صاحبه عليه.

(كما ينتقى أطايب الثمر) يعني التمر الجيد لا الرديء، وتشبيه الكلام الطيب بالتمر؛ لأنَّه فاكهة مباركة، وطعام نافع؛ وهو في ضربه للمثال بالتمر، لأنَّه من واقع الناس وطعامهم المشهور فالتمر من أكثر الأنواع عندهم وجودًا، ومن هنا يستحب في ضرب الأمثال أنْ تكون من الواقع الذي يفهمه الناس؛ لأنَّ ذلك أبلغ في إيصال العلم.

فأراد رضي الله عنه أنَّ هؤلاء كلامهم طيبٌ نقي لا سوء فيه، كما أنَّهم إذا قطفوا الثمر قطفوا الطيب وتركوا الرديء.

فيفهم من ذلك أنَّ الإنسان عليه أنْ يجالس هذا الصنف من الناس، ممَّن يكون كلامهم طيبًا لطيفًا، لا سوء فيه، أو فحش أو بذاءة.



مجالسة أهل الدين والمروءة

قال عبد الواحد بن زيد: «**جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا، ولا تجالسوا غيرهم؛ فإنْ كنتم لابدَّ فاعلين؛ فجالسوا أهل المروءات؛ فإنَّهم لا يرفثون في مجالسهم**»[١].

(أهل الدين): هم أكثر الناس تمسّكا بالدين: باتباع أوامره، واجتناب مناهيه، فهم أصحاب الاستقامة الذين ثبتوا وتمسكوا بالدين، ولم يروغوا روغان الثعالب.

و**(الدين)**: ما يدين به الإنسان.

(من أهل الدنيا) أي من فتح الله عليه ورزقه رزقًا حسنًا في الدنيا (من مال، وجاه، وغيره)، لأن نعمة الله على هؤلاء ظاهرة جلية، فمع التزامهم بأحكام الشريعة تكون مجالستهم عونًا وخيرًا لمن يجالسهم في أمر الدين والدنيا، والله أعلم.

(فإن كنتم لابد فاعلين): أي أنه إذا تحتم ولا بدَّ أن تجلسوا، فليكن جلوسكم مع (أهل المروءات) يعني أصحاب المروءة، والمروءة: «استعمال ما يجمله ويزينه، وتجنبه ما يدنسه ويشينه»[٢].

أو نقول المروءة: « تعاطي الإنسان لما يستحسن ويمدح، وتركه لما يستقبح ويذم».

وخوارم المروءة وما يتعلق بها مبحث تذكره الكتب المتعلقة بعلم الحديث والرجال، وتذكره كتب الآداب، وقد أُفرد تصنيفًا قديمًا وحديثًا، وأحوج الناس إليه من

١- روضة العقلاء لابن حبان (ص٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/١٦٠).
٢- المحرر للمجد ابن تيمية (٢/٢٦٦)



كان محط نظر واقتداء، فهو أجدر الناس أن يكون متحليًا بالمروءة، هاربًا ومجافيًا لخوارمها، فخوارمها عيب ونقص في الإنسان يقلل من قدره وقيمته، وهذه الخوارم تختلف من زمان ومكان لآخر.

والمروءة في حقيقتها من أركان التقوى. فمجالس أهل المروءة، مجالسة فاضلة نافعة، فهم كما قال **(لا يرفثون في مجالسهم)**: من الرفت والمراد به هنا –والله أعلم– الكلام الفاحش ، أو اللغو، كما قال أبو عبيدة: الرفث اللغا من الكلام، وأنشد:

وَرَبِّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ ... عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

فمجالس هؤلاء يُجتنَبُ فيها ما يشين المروءةَ، ويقدحُ بالعدالة من الأقوال والأفعال، فهذا الأحنف بن قيس يقول: «جنبوا مجالسنا ذكر النِّساء والطعام، إنِّي أبغض الرجلَ يكونُ وصَّافاً لفرجهِ وبطنه»[1]. وهكذا ينبغي للمسلم إذا جلس مجلسًا أن يتأمل مع من يجلس، وما الفائدة من ذلك، ولا يجالس من في جلسته تبذل وسخف، فإنَّ ذلك ضياع للوقت، وفساد للقلب، والعاقل من يفعل الخير ويطلبه، ويترك الشر ويحذر منه.

فبهذا يتبين أن الإنسان إذا أراد أن يجالس فعليه أن يجالس:

–أهل الدين المتمسكين به، العاملين بما فيه، فالجاهل وإن كان دينًا ربما ضر أكثر ما نفع.

–أو أن يجالس أهل المروءة، وهذه قد توجد عند بعض الناس مع ضعف الدين، ولذلك أسباب كأن يكون صاحبها بعيدًا عن مجالس العلم، وأماكن الذكر

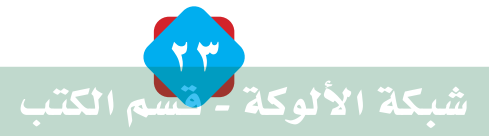
١– سير أعلام النبلاء (٤/٩٤).



-المساجد- كمن يعيش في البادية، فقد يكون في دينه رقة؛ لكن لديه مروءة وعزة شبيهها عند أهل التقى، والله تعالى أعلم.







مجالسة الذاكرين لله

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «**يا معشر الحواريين، تحببوا إلى الله عز وجل ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالمقت لهم، والتمسوا رضاه بسخطهم**» قالوا: يا نبي الله، فمن نجالس؟ قال: «**جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقه، ومن تذكركم بالله رؤيته، ويزهدكم في دنياكم عمله**»، وروي مرفوعًا أخرجه ابن شاهين في «**فضائل الأعمال**»[1].

(يا معشر الحواريين): والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلًا، قاله الكلبي وأبو روق.

واختلف في تسميتهم بذلك:

فقال ابن عباس: «سموا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين».

وقال ابن أبي نجيح وابن أرطاة: «كانوا قصارين فسموا بذلك لتبييضهم الثياب»[2].

(تحببوا إلى الله عز وجل ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالمقت لهم، والتمسوا رضاه بسخطهم) يعني اطلبوا محبة الله ببغضهم.

وهنا سؤال هل هذا الكلام يفهم بإطلاقه، إذا ما قورن بنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، الجواب: لا.

وأقول لا بدَّ أن نفهم من هو العاصي، وهل العصاة كلهم في نفس الزمرةيصنفون؟

١- أخرجه ابن المبارك (ص ١٢١)، وعنه أخرجه أبو عبيد في الخطب والمواعظ (ص ١٦٠)، قال: أخبرنا مالك بن مغول، وأحمد في الزهد (ص ٩٢) وهو ضعيف. وانظر: كشف الخفاء (١٠٥٩).
٢- الجامع لأحكام القرآن (٣/١٤٩) ط: عالم الكتب.

لكن العصاة في الحقيقة هم أقسام[1]:

فمنهم: من يقع في المعصية متأولاً فيها تأويلاً خاطئاً. وكان شيخ الإسلام، يقول: «العقوبة قبل الحجة ليست مشروعة»[2].

ومنهم: من يبتلى بها وهو لها كاره، ولفعلها باغض، ولكن لحظة ضعف، وساعة غفلة يهوي بالمعصية، فما يزال يقوم في قلبه قائم الإيمان يذكره بالله، فيخمد لهيب الشهوة، ويحرق تلك اللذة. كما روى الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» عن معلى بن أيوب؛ قال: سمعت منصور بن عمار يقول: «خرجت ليلة لبعض حاجتي وأنا بالكوفة، وأنا أظنُّ أنِّي قد أصبحت؛ وإذا علي ليل، فمررت على باب، فسمعت قراءة رجل وبكاءه، فوقفت على الباب أتسمع إلى أن فرغ من ورده، فسمعته ينتحب، وهو يقول: وعزتك وجلالك؛ ما أردت بمعصيتك مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، وأعلم إنك مشرف علي لا يخفى عليك شيء من خلقك، ولكن سولت لي نفسي، وأعانتني على ذلك شقوتي، وغرني سترك المرخي علي؛ فعصيتك بجهل وخالفتك بجهل؛ فالآن من عذابك من يستنقذني؟! وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟!

فواسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا؛ أفمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز؟!

ويلي!! كلما كبرت سني كثرت ذنوبي.

١- انظر: كتابي (الرفق بأهل المعاصي، والحرص على هدايتهم) يسر الله نشره.
٢- انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٣٩).

ويلي!! كلما طال عمري كثرت معاصي؛ فمن كم أتوب وفي كم أعود؟! أما آن لي أن أستحيي من ربي؟!

قال منصور: فغشي عليَّ من ساعتي»[1].

ومنهم: من يجاهر بالذنب لا جهر عناد، وإنما ظنَّ أن الحياة هكذا العيش فيها، وأنَّ الطاعات ليست ملزمة لأمثاله؛ وإنَّما هي بحق أهل العلم والصلاح أوجب، وهذا الصنف جمع بين الجهل وسوء الفهم، وإنّما دخل عليه التلبس بالمعصية لجهله بالدين، وعدم فهم نصوص الشَّرع فيه.

وأمثال هذا: لهم حق على الدعاة وأهل العلم أن يسيروا إليهم ويذكروهم بالله تعالى، ويبينوا لهم قبح الذنب والمعصية التي يفعلونها.

ومنهم: من يجاهر جهر المعاند الهازل، فهذا يهجر في الظاهر، ويحذر النَّاس منه، ومن صحبته كيلا يؤثر فيهم، ويكون عوناً مع الشيطان عليهم في ساعة غفلةٍ منهم، وهؤلاء يعاملون بما جاء مرويًا عن عيسى عليه السلام، وبما روي عن أبي العالية «اعمل بالطاعة وأحب عليها من عمل بها، واجتنب المعصية، وعاد عليها من عمل بها؛ فإن شاء الله عذب أهل معصيته، وإن شاء غفر لهم»[2].

ومع هذا الشيء ينبغي أن نستحضر ما ذكره أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: «إنَّما الغضب على أهل المعاصي لجرأتهم عليها, فإذا تذكرت ما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة دخلت القلوب الرحمة لهم»[3].

فغضبنا لله لا تشفيًا وفرحًا بانتكاستهم، ومن كان ذلك فليحذر على نفسه من

١- المجالسة وجواهر العلم (٦٧٧) (٣/٦٥).

٢- الزهد للإمام أحمد «أخبار أبي العالية» (١٧٤٥).

٣- اعتلال القلوب للخرائطي (٢/٢٥٦).



سوء العاقبة، نسأل الله العافية.

وقال ابن حزم رحمه الله: «الإتساء بالنبي ﷺ في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والإكفهرار فقد أخطأ وتعدى طريقته ﷺ، وصار في أكثر الأمر مغريًا.... »[1].

أما نصوص الرفق فكثيرة ووفيرة جمعتها في كتاب مفرد، فلله الحمد والمنة، ومن ذلك بأوجز الاختصار. ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنَّه يحب الله ورسوله»[2].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، تقولوا: أخزاه الله، قبحه الله، ولكن قولوا: تاب الله عليه، غفر له»[3].

وقال الإمام أحمد: وكان أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون، يقولون: «مهلاً رحمكم الله، مهلاً رحمكم الله». وقال أحمد: «يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب، فيكون

١- الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم (ص٦٣).
٢- صحيح البخاري (٦٣٩٨) قوله: (يضحك رسول الله) يفعل في حضرته ما يضحك.
٣- رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٣/١)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص٣٢٤)، واللفظ له.

يريد ينتصر لنفسه»[1].

(جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقه) وقد مرَّ معنا من هؤلاء وذكرنا (الكبراء، والحكماء، والعلماء) فهؤلاء وغيرهم يحرص العاقل الفطن على مجالستهم والاستفادة منهم، والأيام لا تأتيك كل يوم بمثل هؤلاء، والسعيد من اغتنم الفرصة قبل فوتها.

(ومن تذكركم بالله رؤيته) وهذه صفة الصالحين، فإذا رأيته تذكر الله، وتذكر العبادة والأعمال الصالحة، وقد قيل: «من أكثر من شيء، عرف به»[2]. يعني من أكثر من الأعمال الصالحة إذا رأيته تذكر الأعمال الصالحة، وعكسه من كان عاصيًا مجاهرًا، أو من كان مكثرًا من الأشياء التي تخرج عن المروءة كالضحك وغيره؛ وهكذا إذا رأيته تذكر صفته وتكون أمام عينك، يقع ذلك بدون تكلف، أو استحضار للمشهد.

وهذا الصفة هي صفة أولياء الله، فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «الذين يُذْكَرُ الله لرؤيتهم»[3].

وقد كان جماعة من السلف إذا ما رأهم الرائي ذكر الله، فكان ابن شوذب الخرساني، كما يقول عنه تلميذه كثير بن الوليد: «كنت إذا نظرت إلى بن

١- جامع العلوم والحكم (ص٥٤٨-٥٤٩) «الحديث الرابع والثلاثون».

٢- ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (١٨١٧٣) وقال فيه، «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

٣- رواه ابن جرير بإسناده (١١٩/١٥)، وانظره في «الصحيحة» مرفوعاً (١٦٤٦)، وبلفظٍ آخر برقم (١٧٣٣).

شوذب ذكرت الملائكة»[1].

وقال يونس بن أبي إسحاق عن أبيه: «كان عمرو بن ميمون إذا دخل المسجد فرؤي ذكر الله عز وجل»[2]. نسأل الله من فضله سؤال الصادقين لا المتبذلين.

(ويزهدكم في دنياكم عمله) يعني لكثرة أعمالهم الصالحة، فتراه ينشر العلم، ويعبد الله، ويدعو إليه قاطعًا المسافات في نشر دينه، وتعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله، مع إنفاقه المال والوقت، والبعد عن الأهل، وبذله للمعروف أينما كان وحلَّ، أمثال ابن السماك الذي قال لما حضرته الوفاة: «اللهم إنَّك تعلم أنِّي لم أجلس مجلسًا للنَّاسِ إلا لأحبك إلى خلقك، وأحب خلقك إليك»[3]. رحمه الله ورضي عنه.

فهذا ممَّن ينبغي للمسلم أن يتشبه به، وأمثال هؤلاء كثر ففي الصحابة أبو بكر رضي الله عنه كان سبَّاقًا للخير دومًا، وأبو سليمان الداراني رحمه الله؛ والأمثلة والقدوات في الأمة كثر، وحتَّى في زماننا هذا تجد الكثير ممَّن عرفنا وممن لم نعرف، وما ضرَّ من لم نعرفهم أنَّنا لا نعرفهم إذا عرفهم الله وحباهم من فضله. فيا شباب المسلمين لا تنخدعوا وتنجروا خلف هذا الكواليس الكاذبة، والأماني الذاهبة؛ فتضيعوا أوقاتكم في متابعة من لا يزيدكم النظر إليه إلا نقصًا في العمل، وضياعًا في الوقت، ووهنًا في القلب، أمثال الممثلين، والمخنثين، والإباحيين، وغيرهم ممَّن يعلمهم الصغير والكبير، فالسير خلفهم كمن يسير خلف السراب، لا يجر على نفسه إلا الخيبة والخسران، والعاقل من اتعظ، والجاهل من اغتر

١- تهذيب التهذيب (٥/٢٥٥).
٢- تهذيب الكمال (٢٢/٢٦٣).
٣- تاريخ بغداد (٣/٣٤٧).





واتكل.

ولنختم: بما رواه ابن باكويه الشيرازي في «الألقاب» عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النون رحمه الله تعالى وقت مفارقته: من أجالس؟

قال: «عليك بصحبة من يذكرك بالله رؤيته، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في علمك منطقه، ويزهدك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله»[1].



١- حسن التنبه لما ورد في التشبه (٢/٤٧٢).



مجالسة أهل اليقين

قال خالد بن معدان: «**جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين، وواظبوا على الاقتداء بهم؛ ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل**»[1].

(**جالسوا الموقنين واستمعوا منهم**) وهذا فيه حث على شيئين:

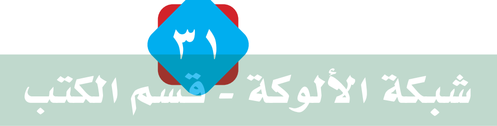
الأول: الجلوس لأهل اليقين.

الثاني: الحرص على السماع والاستفادة منهم.

فإن قال قائل أليس في الجلوس كفاية، فلماذا قال: (**استمعوا منهم**) فالجواب: حرصًا وتأكيدًا على ذلك؛ ولأنَّه ربما جلس ولم يستمع، فيكون حاضرًا ببدنه لا بقلبه، فلا ينتفع من الجلوس إلا أنَّه كان معهم صورةً لا حقيقَّة؛ والحقيقة هنا نعني بها تحقق النفع بالسماع لا مجرد الحضور، وهذه الآفة تطرقت للمسلمين اليوم في الدروس والخطب، أنَّهم يحضرون صورة لا قلبًا، فلهذا كان النفع فيهم قليلًا، والثمرة فيهم غير ظاهرة، وإنَّما من ينتفع من جلس وحضر بينة وحرص على ذلك ، والله الموفق.

وأهل اليقين هم أهل الإيمان، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، فذكر من صفاتهم أنَّهم أصحاب

١- قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/٢١٠): «الحديث رواه أبو نعيم عن ثور بن يزيد مرسلاً وهو معضل، وهو مروي من قول خالد بن معدان، ورويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا من رواية بقية عن العباس بن الأخنس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال «تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه» والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبي في الميزان».
قال ابن السبكي: (٦/ ٢٩٠) «لم أجد له إسناداً».



يقين، والآيات في ذلك كثيرة.

واليقين في اللغة: «العلم الذي لا شك معه»[١].

وفي الاصطلاح: «هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال، فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب، ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان، وسكونه وارتياحه به»[٢].

وقال الحكيم الترمذي: «وإنَّما سمَّي اليقين يقيناً لاستقراره في القلب، وهو النور. يقال في اللغة: يقن الماء في الحفرة: أي استقر، فإذا استقر النور دام، وإذا دام؛ صارت النفس ذات بصيرة فاطمأنت فتخلص القلب من اشتغاله ودوائره.

وإنَّما استقر اليقين في القلب؛ لأنَّ العبد جاهد نفسه في الله حق جهاده على الصدق»[٣].

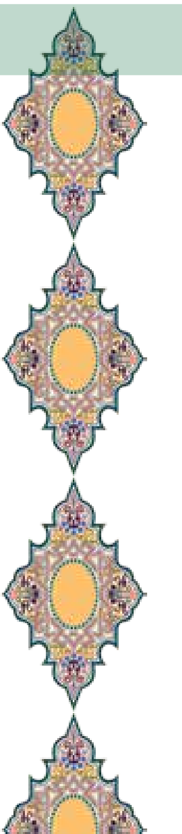
(وواظبوا على الاقتداء بهم) وذلك بالاستمرار بالتشبه بهم، ومطالعة قصصهم، والنظر في أحوالهم، فأهل اليقين هم جند الله تعالى، لأنَّ اليقين من صفات الأنبياء، وهو في أولياء الله من عباده الصالحين، وعلى رأسهم من هذه الأمة المباركة الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين.

فإذا عرفت هذا، لزمك أن تعرف فضل اليقين، وأنه كما قال البخاري: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين: الإيمان كله»[٤].

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «اعلم يا ابن ادم أنَّه لا رزية أعظم من رزية في

١- التعريفات (ص٣٣٢)
٢- عرفه ابن رجب كما في كتابه «فتح الباري» (١/١٥) ط: الحرمين.
٣- نوادر الأصول (١/٨٩-٩٠)
٤- تغليق التعليق (٢/٢٢).





عقلٍ ممَّن ضيع اليقين»[١].

وقال عمار: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً»[٢].

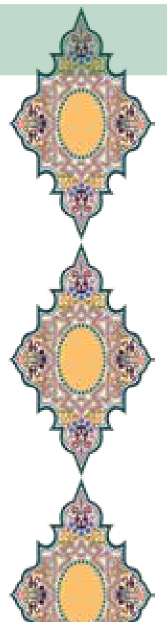
قال الغزالي: «اليقين هو رأس مال الدين»[٣].

وقال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: «اليقين أعلى مراتب العلم»[٤].



١- صفة الصفوة (١/٤٥٥).
٢- العظمة لأبي الشيخ (٤٠) (١/٢٦٤).
٣- الإحياء (١/٧٢).
٤- (ص١٨٩).





ختامًا: لا تجلس

أخي المسلم، أختي المسلمة لا تجلسوا مع:

(المنافقين، ولا الكفرة[1].

ولا العصاة، وأصحاب السوابق.

ولا المبتدعة، وأصحاب الشبهات.

ولا النساء – للرجال الخطاب – فالجلوس إليهنَّ فتنة، وقد بلينا في زماننا بالجلوس والاختلاط معهنَّ في العمل وغيره؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

فالجلوس مع ما ذكرت: يمرض القلب، ويضيع الوقت، ويجر على صاحبه الخسران والوبال في الدنيا والآخرة.

روى الذهبي عن عبد الله بن مسلم المروزي، قال: كنت أجالس ابن سيرين، فتركته، وجالست الإباضية، فرأيت كأنِّي مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ. فأتيت ابن سيرين، فذكرته له، فقال: «مالك جالست أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي ﷺ»[2].

وروى أبو نعيم، عن يونس بن عبيد قال: «ثلاثة احفظوهنَّ عني: لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلون أحدكم مع امرأة شابة يقرأ عليها القرآن، ولا يمكن أحدكم سمعه من أصحاب الأهواء»[3].

١- قال الحافظ ابن كثير الدمشقي رحمه الله في «تفسيره» (١٧٦/١) «النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب... ».
٢- سير أعلام النبلاء (٦١٧/٤).
٣- الحلية (٢١/٣).





قال خصيف: «أشهد أنَّ في التوراة: أن يا موسى! لا تخاصم أهل الأهواء، فيقع في قلبك شيء؛ فيدخلك النار»[١].

عن بكر المزني قال: «عزمت على نفسي أن لا أسمع قومًا يذكرون القدر إلا قمت فصليت ركعتين»[٢].

وروى ابن الجعد في «مسنده»، بسنده عن أحمد بن يونس قال: قال رجل لسفيان وأنا أسمع: يا أبا عبد الله، أوصني قال: «إيَّاك والأهواء، إيَّاك والخصومة، وإيَّاك والسلطان»[٣].

وعن مالك رحمه الله تعالى قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به»[٤].

وفتنة الشبهات من أخطر أنواع الشبه وأشدها؛ لأنها تضرب عمود الدين وصلبه وهو العقيدة، كما تضرب صلب الأنسان في بدنه أعني بذلك القلب حتى تمرضه وربما كانت القاصمة فتهلكه وتميته، ولهذه الفتن أمثلة كثيرة كدعاة الإلحاد والاستشراق والبدع والإنحلال والإباحية وغير ذلك، وغالب فتنة الشبهات تكون من ضعف البصيرة، وقلة العلم. وقد قيل: «القلوب ضعيفة، والشبه

١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي الشافعي، (ص١٠٠) ط: رمادي للنشر.
٢- طبقات ابن سعد (٧/٢٠٩).
٣- مسند ابن الجعد (١٨١٩)، و «ذم الكلام» للهروي (٨٩٧).
٤- كما في «السير»(٨ / ٦١).



خطافة»[1].

وقال عبد الرزاق رحمه الله، لرجل أراد مخاصمته: «القلب ضعيف، وليس الدين لمن غلب»[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات»[3].

قال الإمام ابن بطة معلِّقا على هذا الحديث: «هذا قول رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. فالله الله معاشر المسلمين، لا يحملنَّ أحداً منكم حسنُ ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول أُداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال وكلامهم ألصق من الجَرَب، وأحرق للقلوب من اللهب. ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبُّونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر

ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء»[4].

وقال زين الدين بن مرعي الكرمي رحمه الله: «وأكثر ما يفسد الملل والدول فتنة

١- سير أعلام النبلاء (٢٦١/٧).
٢- رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة» (٢٩٤).
٣- رواه أبو داود (٤٣١٩). وأحمد في «المسند» (١٩٨٧٥) و (١٩٩٦٨)، والبزار في «المسند» (٣٥٩٠). وإسناده صحيح.
٤- اقتضاء الصرط المستقيم (ص١٩٣) ط: دار الحديث.



لنساء»[١].

وفي «الكشاف» عن بعض العلماء: «إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وقال في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾»[٢].

وقال سليمان بن داود عليه السلام، لابنه: «امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة»[٣].

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «النِّساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون»[٤].

والحبائل: جمع حبالة بالكسر، هو ما يصاد به من أي شيء كان.

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر[٥]،

١- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٥٠) ط: الرئاسة العامة.

٢- كشف الخفاء للعجلوني (١/٥٣)، وقال محقق الكتاب: «هذا الكلام فيه نظر؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ جاء مقارنًا بكيد الله، فلذلك كان ضعيفًا، وقال في كيد النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾؛ لأنَّه جاء مقارنًا بكيد الرجال، فلذلك كان عظيمًا، فالسياق من المقيدات فتنبه».

٣- ذكرهم الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص٢٠٨) ط: التوفيقة، ولم يسند كلام نبي الله داود، والله أعلم بصحته.

٤- رواه ابن حجر في المطالب العالية (٣١٢٥)، والبوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٧١٩٠)، وإسناده صحيح.

وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء: «أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة»، وذكر العجلوني في كشف الخفاء (٢٨٠٢)، «رواه في مسند الفردوس» عن عقبة بن عامر بلفظ «النساء حبالة الشيطان».

٥- قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» في تفسير قوله: (إذا خاصم فجر) ويعني بالفجور أنْ يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذا مِّما يدعو إليه الكذب، كما قال ﷺ: «إيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار»

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» أهـ.

فمن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النِّفاق حتى يدعها»[1].

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: «المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قال: فقلنا: يا أبا عبد الله وكيف ذاك؟ قال: إنَّ أولئك كانوا يسرون نفاقهم وإنَّ هؤلاء يعلنون»[2].

وعن أبي المقدام ثابت بن هرمز عن أبي يحيى، قال: «سئل حذيفة: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به»[3].

❁❁❁

١- رواه البخاري في صحيحه» (٣٤)، ومسلم (١٠٦)، وأحمد في «مسنده» (٦٧٦٨)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٦٨١)، والترمذي في «سننه» (٢٦٣٢)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح.»، وقال: وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ هكذا روي عن الحسن البصري، شيء من هذا أنَّه قال: «النفاق نفاقان: نفاق العمل، ونفاق التكذيب».

[فائدة مهمة]: قال ابن الملقن في «التوضيح شرح الجامع الصحيح» (٣/٥٦-٥٧): «قَالَ بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذِه الخصال غالبة عليه، فأمَّا من ندر ذَلِكَ منه فليس داخلاً فيه».

قال النووي في «الأذكار»: «وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ مَن وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهيّ عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجبٌ أو مستحبّ ؟ فيه خلاف بينهم.

(١)-ذهب الشافعيُّ وأبو حنيفة والجمهورُ إلى أنه مستحبّ، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم.

(٢)- وذهبَ جماعةٌ إلى أنه واجب، قال الإمامُ أبو بكر بن العربي المالكي: أجلُّ مَن ذهبَ إلى هذا المذهب عمرُ بن عبد العزيز.

(٣)- قال: وذهبتِ المالكية مذهباً ثالثاً أنه إن ارتبط الوعدُ بسبب كقوله : تزوّج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعداً مُطلقاً لم يجب، واستدلّ مَن لم يوجبه بأنَّه في معنى الهبة، والهبة لا تلزم إلا بالقبض عند الجمهور، وعند المالكية: تلزم قبل القبض».

٢- رواه وكيع في الزهد (٤٦٨)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣٠٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٩١١) (٢/٣١٩).

٣- رواه وكيع في «الزهد» (٤٦٤)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٢٨) (٢/٣٢٣).



ولنختم الخاتمة بشيئين:

الأول: أيها المسلم انتقِ مجالسك.

ذكر الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن الحسن، قال: «تنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس، وأحبوا هونًا، وأبغضوا هونًا؛ فقد أفرط أقوام في حب أقوام؛ فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام؛ فهلكوا، إن رأيت دون أخيك سترًا فلا تكشفه»[(١)].

الثاني: تعلم أدب المجالس.

قال وهيب بن الورد: «أنَّ شابًا كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويحسن الاستماع، ثم ينصرف من قبل أن يتكلم؛ ففطن له عمر فقال له: إنَّك تحضر مجلسنا وتحسن الأستماع، ثم تنصرف من قبل أن تتكلم؟

فقال الشاب: إنِّي أحضر فأتوقى وأتنقى، وأصمت فأسلم[(٢)].

هذا والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين



١- مكارم الأخلاق (٧٤٢).
٢- روضة العقلاء (ص٣٥).



(مفكَّرَةُ الفَوائِدِ)

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

صدر للمؤلِّف من الكُتب والأبحاثِ

- رسالة عن الغيرة بين خطاب الشَّرع وسلوك الناس ط: دار اللؤلؤة.
- قاعدة بذكر ثلاثة أصول عورضت بها الشَّريعة. ط: دار اللؤلؤة.
- إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب من المحدثين. ط: دار اللؤلؤة.
- احترام العلماء وتوقيرهم (أهل الحديث أنموذجًا) ط: دار اللؤلؤة.
- لذة العلم والسماع عند المحدثين والعلماء. ط: دار اللؤلؤة.
- معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به. مجلة رواء.
- القصَّاص وموقف السلف منهم. مجلة رواء.
- أدب إعارة الكتاب واستعارته. شبكة الألوكة.
- شرح الأربعين التدبريَّة في مراتب أخذ القرآن. مركز تدبر.
- التعليق على رسالة الإلحاد للعلامة محمد الخضر الحسين.
- التبرج صوره أسبابه ومظاهره.
- شرح كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بذكر الصفات الثلاثة التي يحتاجها الداعية والمحتسب.
- تمام الفرحتين بتهذيب كتاب العيدين.